مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
**ISSN:** 1112- 7872
**E-ISSN:** 2600-6162
مجلد: 20 عدد: 01 سبتمبر 2024 *ص.ص. 138- 150*
العنوان: مظاهر استغلال التراث المادي خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية

# مظاهر استغلال التراث المادي خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية

**د. فتيحة خروبي[1]، د. جلجال فاطمة[2]**
1- جامعة قسنطينة 2-عبد الحميد مهري (الجزائر)
2- جامعة تيارت (الجزائر)
touharch@gmail.com

تاريخ الإرسال:2024/02/16 ؛ تاريخ القبول:2024/06/01

**Manifestations of Exploiting Tangible Heritage During the French Colonial Era**

F. Kharoubi, F. Djeldjal

**Abstract:**

This study aims to explore the manifestations of France's exploitation of material heritage in Algeria during the colonial period to reinforce its colonial policy and attempts to erase the national Arab-Islamic identity of the country. Through excavating Roman ruins and utilizing these discoveries, France sought to assert its sovereignty over Algerian territory as an extension of Roman civilization. The focus was on demolishing Islamic buildings and institutions and replacing them with European landmarks, in addition to desecrating Islamic holy sites by conducting archaeological excavations within mosques or converting them into churches.

The study also highlights the role of the military and clergy in archaeological and missionary work, and how these policies and practices ultimately failed to completely erase the Arab-Islamic identity of Algeria. Furthermore, the study demonstrates how Algeria managed to preserve its culture and identity despite all French attempts to obliterate it.

**Keywords:** Material heritage; French colonialism; Arab-Islamic identity.

مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
**E-ISSN:** 2600-6162
مجلد: 20 عدد: 01 سبتمبر 2024 *ص.ص. 138- 150*
العنوان: مظاهر استغلال التراث المادي خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية

**الملخص:**

تهدف الدراسة الراهنة الى استعراض مظاهر استغلال فرنسا للتراث المادي في الجزائر خلال فترة الاستعمار لتعزيز سياستها الاستعمارية ومحاولاتها لطمس الهوية القومية العربية الإسلامية للبلاد. من خلال التنقيب عن الآثار الرومانية وتوظيف هذه الاكتشافات، سعت فرنسا إلى إثبات سيادتها على أرض الجزائر باعتبارها امتدادًا للحضارة الرومانية. تم التركيز على هدم العمائر والمؤسسات الإسلامية واستبدالها بمعالم أوروبية، بالإضافة إلى التعدي على المقدسات الإسلامية بإجراء التنقيبات الأثرية داخل المساجد أو تحويلها إلى كنائس.

تم تسليط الضوء أيضًا على دور الجيش ورجال الدين في الأعمال الأثرية والتبشيرية، وكيف أن هذه السياسات والممارسات لم تنجح في النهاية في محو الهوية العربية الإسلامية للجزائر بالكامل. كما تظهر الدراسة كيف استطاعت الجزائر الحفاظ على ثقافتها وهويتها رغم كل المحاولات الفرنسية لطمسها.

**الكلمات المفتاحية:** التراث المادي، الاستعمار الفرنسي، الهوية العربية الإسلامية.

**مقدمة**

في ظل مساعيها المستمرة لمحو ملامح الهوية القومية، اتجهت سلطات الاحتلال الفرنسية نحو استكشاف الوسائل التي تؤهلها لإثبات سيادتها على أرض الجزائر. وبما أن البرهان المادي يعتبر الأداة الأمثل لتحقيق هذه الغاية، فقد رأت فيه فرنسا الإثبات الجازم لفكرة أن الوجود الفرنسي بين الشعب الجزائري ليس إلا امتداداً لماض روماني.

ومع ذلك، يثور التساؤل حول فعالية هذه الأداة. هل كانت حقاً تشكل دليلاً يعزز موقف فرنسا، أم تحولت إلى دليل يدينها، لا سيما وأن المدن الجزائرية ما زالت تحمل الطابع العربي الإسلامي؟

قامت فرنسا بتوظيف التراث المادي الجزائري في رسم استراتيجية سياستها الاستعمارية، التي اعتمدت على منهجين متناقضين: الأول هو الهدم، الموجه ضد كل ما هو عربي إسلامي، والثاني هو البناء، حيث سعت من خلاله إلى استبدال المدن الإسلامية بمدن أوروبية. لكن قبل تنفيذ هذا المخطط الطموح، كان لا بد من تهيئة البيئة الملائمة له، وذلك بتجاهل الحقبة الإسلامية من تاريخ الجزائر، مما استلزم منها القيام بالتنقيب عن الآثار الرومانية.

## 1. التنقيب عن الماضي الروماني:

بادرت إدارة الاحتلال منذ بداية عام 1830م بغوص عميق في تاريخ الجزائر والتنقيب عن آثارها الرومانية، سعياً وراء ما يتوافق مع سياستها الاستعمارية ويمنح شرعية لمشروعها العسكري. هذا النهج تجلى في رسالة بعث بها المارشال سولت في عام 1833م إلى الأمين العام لأكاديمية النقوش والآداب، حيث أكد على الأهمية العملية والإدارية لهذه الأبحاث. طبيعيًا، كان التركيز ينصب على الاكتشافات التي لا تشمل الفترات الإسلامية، نظراً لعدم خدمتها لأهداف الاحتلال، وتشكيلها عائقاً أمام الوصول للآثار الرومانية. (منصوري، 1999، ص 30)

لم تخف فرنسا نواياها السياسية في متابعة آثار الرومان واكتشاف إنجازاتهم الدينية والدنيوية. وقد تولى ضباط وقادة الجيش الفرنسي، خصوصًا بين عامي 1830م و1880م، الإشراف على هذه الأبحاث، مما ساهم في دمج اكتشافات المواقع الأثرية ضمن التقارير العسكرية. كافينياك، الحاكم العام للجزائر خلال الفترة من فبراير إلى أبريل 1848م، خصص جهوداً كبيرة للحفريات الأثرية بحثاً عن آثار رومانية لإثبات سيطرة فرنسا على الجزائر، متجلياً ذلك في موقفه أمام صليب روماني قديم معبراً عن نية فرنسا في استكمال الحكم الروماني. (منصوري، 1999، ص 27، 28)

إضافةً إلى التنقيب عن الآثار، قامت فرنسا بإعادة تأهيل بعض العمائر الرومانية القديمة، كتجديد كنيسة قائمة على أنقاض معبد

روماني، في تعبير عن الرغبة بإحياء الماضي الروماني. كافينياك اختار ترميم مبنى ديني بالتحديد، مما يشير إلى رغبة فرنسا في إحياء التراث المسيحي بالمنطقة كجزء من سياسة استعمارية تهدف إلى تمهيد الطريق للحملات التبشيرية وتغيير الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري. (الأشرف، 2007، ص 283، 284)

منذ اللحظات الأولى للاحتلال، أولت فرنسا اهتمامًا خاصًا بالتنصير، موظفةً في ذلك قوتها العسكرية وكذلك رجال الدين والكنيسة في الأعمال الأثرية الرامية لاكتشاف كنائس قديمة ورفات أساقفة: (الأشرف، 2007، ص 284) . الكاردينال لافيجري كان من بين الشخصيات البارزة التي دعمت البحث الأثري بهدف إثبات الحاجة لاستمرار الوجود الفرنسي كامتداد لمسيرة القديس أوغسطين وغيره من القديسين.(منصوري، 1999، ص 31)

لم تقف سياسات الإدارة الاستعمارية عند حد البحث عن الآثار المسيحية واستخراج وإعادة بناء الكنائس القديمة فحسب، بل تعدت ذلك إلى التعدي على المقدسات الإسلامية، سواء بإجراء التنقيبات الأثرية داخل المساجد أو تحويلها إلى كنائس بناءً على أساطير مفتعلة لتبرير سياستها. من الأمثلة البارزة على هذا التوجه ما حدث في الجامع الكبير والجامع الحنفي،(سعد الله، 1992، ص 80)حيث ادعت فرنسا أن الأول بني فوق معبد مسيحي قديم يتطلب الكشف عن أساساته بحثاً عن الهيكل المزعوم، وأن الثاني أُقيم بأمر من عبد مسيحي تنبأ بأن المسيحيين سيستخدمون هذا الجامع ككنيسة عند احتلال المدينة، مما دفع الفرنسيين لزيارته بكثافة استجابة لهذه الأسطورة.

رغم جهود السلطات الاستعمارية في البحث عن الآثار الرومانية، واجه المنقبون الآثار الإسلامية التي كانت تعيق وصولهم إلى أهدافهم، مما دفعهم إلى تقديم تفسيرات تجعل من الفترة الإسلامية مجرد مرحلة استعمارية، مدعين أن الديانة المسيحية هي الأصل في الجزائر التي حاول المسلمون القضاء عليها عبر القرون. من هذه التفسيرات ما ذكره الجنرال دوماس بأن البحث تحت "القشرة

الإسلامية" يكشف عن "رحيق مسيحي" يؤكد على الماضي المسيحي للبربر، في محاولة لتأكيد سردية توافق أهداف الاستعمار، حتى وإن تطلب الأمر ابتعاداً كلياً عن التفسيرات العلمية. (غربي وآخرون، د.ت، ص 275-276)

ومهما يكن من أمر، تمكنت فرنسا بفضل جهودها العسكرية والتفسيرات الأسطورية من إبراز المعالم الرومانية في الجزائر، مؤسسة بذلك للركيزة الأولى في خطتها الاستعمارية. وبمجرد الانتهاء من هذه المرحلة، بدأت في المرحلة التالية وهي تجديد بناء الحواضر التاريخية للقضاء على ما تبقى من الهوية العربية الإسلامية.

## 2. تجديد الحواضر التاريخية:

كانت المدن الجزائرية عند وصول الاحتلال الفرنسي تحمل طابعًا إسلاميًا لا يتماشى مع طموحاته الاستيطانية، خاصة بعد تبنيه فكرة استعادة أرض الأجداد الرومان وتأكيد ملكيته عبر البحث في أعماق الأرض عن آثار تثبت هويته الرومانية. واجه الاحتلال تحدي كيفية التعامل مع المدن الإسلامية ذات التخطيط والعمارة الإسلامية، مما اقتضى أولًا طمس المعالم الإسلامية لتسهيل تحويلها إلى مدن أوروبية حديثة.

### أ.طمس المعالم الإسلامية:

لم يتردد الاحتلال في توجيه ضرباته للتراث المعماري الإسلامي بالمدن التاريخية الجزائرية، محاولًا إزالة هويتها الثقافية والحضارية. هذا العمل لاقى انتقادات حتى من بعض المستشرقين في باريس، ما دفع الإمبراطور نابوليون الثالث لإصدار قرار في عام 1865م بالحفاظ على التراث المعماري المحلي بعد زيارته للجزائر وقسنطينة. لكن، هذا القرار لم يحد من السياسات الاستعمارية الفرنسية التي استهدفت التراث الجزائري، إذ كانت الغالبية العظمى من المعالم الإسلامية قد دُمرت بالفعل. (شرقي، د.ت، ص 34، 35).

كانت كبريات المدن الجزائرية التي حافظت على تخطيطها وعمارتها الإسلامية هدفًا رئيسيًا للمحتل بسبب تجسيدها للهوية العربية الإسلامية. أولى هذه المعالم كانت المساجد، التي استهدفها المحتل لتدميرها بغرض إضعاف الهوية الجزائرية من خلال القضاء على الدين الإسلامي واستبداله بالمسيحية. استخدم الاحتلال مبررات مثل الحالة الآيلة للسقوط أو التعارض مع مشاريع التهيئة العمرانية لتبرير هدم المساجد، محولًا بعضها إلى كنائس أو متاحف لتناسب الصورة الجديدة للمدينة.

كانت كبريات المدن الجزائرية التي حافظت على تخطيطها وعمارتها الإسلامية هدفًا رئيسيًا للمحتل بسبب تجسيدها للهوية العربية الإسلامية. أولى هذه المعالم كانت المساجد، التي استهدفها المحتل لتدميرها بغرض إضعاف الهوية الجزائرية من خلال القضاء على الدين الإسلامي واستبداله بالمسيحية. استخدم الاحتلال مبررات مثل الحالة الآيلة للسقوط أو التعارض مع مشاريع التهيئة العمرانية لتبرير هدم المساجد، محولًا بعضها إلى كنائس أو متاحف لتناسب الصورة الجديدة للمدينة. (مؤنس، 1981، ص 206)

لم تكن جميع عمليات الهدم مبررة بأسباب مقبولة، فجامع السيدة - أحد أجمل مساجد الجزائر العاصمة آنذاك - هُدم في عام 1830م، قبل حتى التخطيط لإنشاء ساحة الحكومة، بعيدًا عن أي مبرر عمراني، مما يشير إلى النوايا الحقيقية للمحتل في إزالة الهوية الإسلامية بالكامل من المشهد الحضري. (سعد الله، 1992، ص 83)

حتى طريقة هدم منارة جامع في عام 1832، بعد مقاومتها للمحتل لمدة سنتين، تشهد على مدى إصرار فرنسا على محو كل رمز يعكس الهوية الإسلامية والعربية في الجزائر. وصف أحد الشهود للحظات الأخيرة لهدم المنارة يعكس هذه الروح الدمارية: **"انهارت المنارة كقطعة واحدة، ثم تم تفتيتها بالمطارق والفؤوس. عند تطويل العملية وزيادة الضجيج، استخدمت حبال ضخمة لجر المنارة للسقوط، لكن الحبال انقطعت. في نهاية المطاف، تم تدمير أساس**

**المنارة وإشعال النار لإسقاطها كقطعة واحدة"**.(سعد الله، 1992، ص 86)

لم تقتصر الهجمات على المساجد فقط، بل شملت الزوايا، القباب، والمدارس، في ما يمكن وصفه بأنه انتقام من الرموز الإسلامية والعربية في الجزائر (فتيحة، د.ت)، وصف أبو القاسم سعد الله هذه الأفعال بأنها "انتقام الصليب من الهلال."

البحث في موضوع المؤسسات الدينية بمدينة الجزائر يكشف عن وجود عدد كبير من المؤسسات الدينية قبل الاحتلال (بن اسماعيلي، 2014، ص 23) ، والتي تعرضت للهدم والمصادرة بعد الاحتلال. مدينة عنابة، مثال آخر، فقدت الغالبية العظمى من مساجدها ومدارسها. **(بن اسماعيلي، 2014، ص 23، 24)**وفي تلمسان، سلمت مئذنة جامع أغادير من الدمار الكامل، لكنها خسرت مداخيلها وتم تحويل بعض المساجد إلى متاحف. (شرقي، د.ت، ص 22)

هذه الأفعال تجسد السياسة الفرنسية الرامية إلى إزالة كل ما هو إسلامي وعربي من الجزائر **(بن اسماعيلي، 2014، ص 24)**، محاولةً بذلك طمس هوية البلاد الأصلية واستبدالها بالثقافة والهوية الأوروبية المسيحية. (شرقي، د.ت، ص 31، 32، 33).

فيما يخص المدارس، شهدت المدينة هدمًا ممنهجًا لمؤسساتها التعليمية الدينية، مثل المدرسة التاشفينية التي تم هدمها عام 1873 لإفساح المجال لإقامة ساحة مركزية، والمدرسة اليعقوبية التي استُبدلت بمبانٍ فرنسية حديثة. يعكس هذا الهدم الكامل للمدارس في الجزائر عزم فرنسا على إعادة تشكيل المدينة وفقًا للمعايير والأهداف الاستعمارية، محوًا بذلك آثار التعليم والثقافة الإسلامية. (سعد الله، 1992، ص 87، 88).

من ناحية أخرى، يثير الإحجام عن هدم المؤسسات الدينية في تلمسان تساؤلات، حيث كانت المدينة، إلى جانب قسنطينة، غنية بالمؤسسات الدينية. يشير بعض المصادر إلى أن الفرنسيين ربما اتبعوا هذه السياسة لكسب ود السكان ودعمهم ضد الأمير عبد القادر، خاصة بعد أن واجهت المدينة دمارًا كبيرًا على يد القوات الفرنسية

عام 1837م، مما جعل تقدير عدد المؤسسات الدينية أمرًا صعبًا، على الرغم من تقديرات بوجود ثمانية عشر جامعًا. (سعد الله، 1992، ص 78، 79).

المدن التاريخية في الجزائر تعرضت للطمس الكامل، وهو ما تؤكده شهادات الفرنسيين أنفسهم. ففي السنوات الأولى للاحتلال، أشار نائب بالبرلمان الفرنسي إلى أن الجزائر، التي كانت غنية بالحدائق والمحلات الجميلة، أصبحت مجرد خرائب، حتى أنابيب المياه التي كانت تروي المدينة قد دُمرت. هذه التصريحات تعكس الأثر الهائل للاحتلال الفرنسي على البنية التحتية والمعالم الثقافية والدينية للجزائر، مما أدى إلى تغيير جذري في هوية ووجه المدينة. (سعد الله، 1992، ص 71).

**أ.إعادة تهيئة المدينة:**

وصلت فرنسا إلى المرحلة الأخيرة من تنفيذ خطتها العسكرية واعتمادا على نتائج المرحلتين السابقتين استطاعت أن تمضي قدما في مواصلة مشروعها الاستيطاني، فبعد أن تجردت الحواضر التاريخية من حلتها الاسلامية أصبحت أرضيتها جاهزة لاستيعاب مشروع المدينة الأوربية الحديثة، وهو ما يشير إليه أبو القاسم سعد الله واصفا مدينة الجزائر العاصمة فيما بين سنتي 1832م- 1833م نقلا عن أحد شهود عيان في قوله : «**..وجه مدينة الجزائر العاصمة قد أخذ يتحول من الطابع الشرقي إلى الطابع الغربي**». (سعد الله، 1992، ص 71).

فرنسا اعتبرت تغيير الصورة العامة لمدينة الجزائر العاصمة دليلاً على استعادة السيطرة الغربية على العاصمة الإسلامية، مما دفعها إلى تنفيذ تخطيط جديد للمدينة يشمل مرافق معمارية مختلفة عما كان موجودًا قبل الاحتلال. كامبل، الذي كان في الجزائر عام 1832، شهد على الاحتفالات التي أقامها الفرنسيون بمناسبة "استرجاع الملكية" وكيف بدأت البازارات الشرقية تخلي مكانها للمتاجر الأوروبية والمخازن التجارية الفرنسية، بالإضافة إلى ظهور فنادق كبرى ومطاعم ومكتبات وسيرك، مما يعكس الرغبة في تغريب

المدينة وإعادة تشكيل هويتها العمرانية والثقافية. (منصوري، 1999، ص 31).

البحث الأثري الذي أجراه الجيش الفرنسي ساهم أيضًا في تسريع عملية التهيئة العمرانية، حيث استفادت السلطات الاحتلالية من المعلومات المجمعة من المواقع الأثرية لتنفيذ مشاريع بناء وتعمير، خاصة في المواقع التي كانت تتوافر فيها البنية التحتية اللازمة للتجمعات السكانية الجديدة، مستغلة في ذلك المواد الأولية المتوفرة من معالمها الأثرية (منصوري، 1999، ص 31)

هذا النهج لم يقتصر على التخطيط العمراني فحسب بل امتد إلى الطابع العسكري للحركة الاستيطانية الفرنسية، حيث ركزت التقارير على الطرق العسكرية القديمة والمواقع الاستراتيجية، مما يعكس الغرض العسكري من وراء هذا الاحتلال. كما اقترنت إعادة التهيئة العمرانية بالطابع العسكري، حيث عملت السلطات الاحتلالية على استحداث هياكل معمارية جديدة مخصصة لإيواء قواتها أو تسهيل تحركاتها داخل المدن، مع إعادة استغلال بعض المعالم التاريخية بتغيير هيكلها المعماري ليتناسب مع وظائفها الجديدة. (رزق، 2000، ص 245-246)

هذه السياسات والممارسات تعكس محاولة فرنسا لطمس الهوية الإسلامية والعربية للجزائر واستبدالها بثقافة وهوية غربية، في محاولة لتأكيد الهيمنة والسيطرة الاستعمارية على المدينة وسكانها.

مثل العديد من المدن الإسلامية في الجزائر، تعرضت تلمسان لإعادة استغلال معالمها التاريخية بواسطة السلطات الفرنسية، حيث تحولت إلى مرافق عسكرية ضرورية للجيش الفرنسي. القيسارية،(شرقي، د.ت، ص 35، 37، 79) التي تبلغ مساحتها خمسة هكتارات، لم تنج من هذا التحول، حيث قامت مصالح الهندسة العسكرية الفرنسية بإعادة تهيئتها وتحويلها إلى ثكنة عسكرية ضخمة لإيواء وحدات الجيش وعتاده. واحدة من أبرز التغييرات المعمارية التي حدثت كانت إزالة السور الذي كان يفصل القيسارية عن بقية أحياء المدينة وفتح شوارع واسعة بداخلها لتسهيل نقل المعدات

العسكرية وتنقل الجنود بسهولة، مما أدى إلى هدم العديد من المحلات التجارية والمرافق التاريخية (عمر، د.ت، ص 42، 43)

في عام 1842، قامت السلطات الفرنسية بتوسعة باب المشور وتحصين السور الخارجي بإضافة سور حجري، خصوصًا من الواجهة الشمالية والغربية [27] كما شهدت المدينة هدم العديد من مرفقاتها الداخلية لإفساح المجال أمام بناء ثكنة مركزية للقيادة، وتحويل مسجد الموقع إلى كنيسة ملحقة بالمستشفى العسكري. (شرقي، د.ت، ص 75)

عملية التهيئة العمرانية لم تقتصر على توسعة البنية التحتية العسكرية فحسب، بل شملت أيضًا إعادة توسعة الشوارع، الدروب، الأسوار، والأبواب لتسهيل التحركات العسكرية داخل المدن الإسلامية ذات الدروب الضيقة. هذا التغيير الجذري في البنية التحتية كان ضروريًا لتسهيل نقل المعدات الحربية وربط المراكز العسكرية بشوارع رئيسية، مما أدى إلى إعادة التهيئة الشاملة للمدن التاريخية بدلاً من التوسعة الجزئية فقط.

مدينة الجزائر العاصمة شهدت في فترة قصيرة هدم المئات من منازلها لإقامة ساحة الحكومة، إذ كانت طبيعة العمارة المتلاصقة والشوارع الضيقة تقتضي إسقاط منازل حتى تلك البعيدة عن موضع الساحة المخطط لها. الدوق روفيقو، قائد جيش الاحتلال، لم يتوانى عن تخريب مقبرة إسلامية لفتح طريق بين بوليه وباب عزون، معبرًا بذلك عن الاستهتار بالقيم والمعتقدات الإسلامية. (سعد الله، 1992، ص 70، 86).

الهدم لم يقتصر على المقابر والمنازل، فمسجد السيدة والمنازل المجاورة له تم هدمها لفتح طريق إلى قصر الجنينة، الذي كان مقر الحكم العثماني، وتم تحويله إلى مخزن عسكري. فرنسا كانت تهدف إلى إنشاء ساحة حرة في قلب المدينة لتسهيل تجمع القوات في حال حدوث انتفاضة شعبية، مما يعكس الطابع الاستبدادي للاحتلال. (سعد الله، 1992، ص 83).

وأما في تلمسان، فقد قامت إدارة الاحتلال بإحداث فجوات في السور المحيط بالمدينة، كما فتحت على مستواه أبواب جديدة، ووسعت بعض الأبواب القديمة، فضلا عن هدم الأحياء إما بشكل جزئي أو تام على حسب الحاجة التي اقتضتها إعادة التهيئة.

في تلمسان، أحدثت الإدارة الاستعمارية فجوات في السور المحيط بالمدينة، فتحت أبوابًا جديدة، ووسعت الأبواب القديمة لتسهيل تنقلاتها العسكرية والإدارية، مما أدى إلى هدم أحياء بشكل جزئي أو كلي. سوق البرادعين تحول إلى شارع معسكر، مثال على الشوارع العديدة التي فتحها الاحتلال في القيسارية لتسهيل الحركة العسكرية والمدنية، وربط الجامع الكبير بمناطق مختلفة من المدينة، مما يؤكد على الاستراتيجية الفرنسية لإعادة تشكيل المدن الجزائرية وفقًا لمتطلبات الاحتلال العسكري والإداري. (شرقي، د.ت، ص 37).

هذه التحولات العمرانية تعكس النية الواضحة للسلطات الاستعمارية في تغيير النسيج العمراني والثقافي للمدن الجزائرية، محوًا بذلك آثارها الإسلامية والعربية واستبدالها بتصميمات تخدم الأهداف الاستعمارية وتعكس الهيمنة الغربية. (شرقي، د.ت، ص 80، 81).

إضافة إلى التغييرات العمرانية الكبيرة التي أجرتها فرنسا في تلمسان، يبرز شارع سيدي حامد كمثال على كيفية استخدام السلطات الاستعمارية للتخطيط الروماني التقليدي في تشكيل الفضاء العمراني للمدينة. بتعامده وتقاطعه مع شارع معسكر، يشكل شارع سيدي حامد نظام الكاردو والدوكيمانوس، الذي يعتبر سمة للمدن الغربية منذ العصر الروماني. هذا النظام الطرقي شق القيسارية، مرورًا بساحة السويقة في الناحية الشمالية من المدينة وأمام مدخل فندق المنصور، وينتهي في الجنوب بشارع باب الجياد الذي يربط بين قلعة المشور وباب الجياد، وهو من إنشاءات المحتل الفرنسي كذلك.

هذه الاستراتيجية في التخطيط العمراني تعكس كيف أن فرنسا لم تتوانى عن استغلال التراث المعماري المحلي لتحقيق أهدافها

العسكرية والسياسية، مسعيةً لإعادة تشكيل المدينة بما يخدم مصالحها. بالرغم من هذه المجهود. (شرقي، د.ت، ص 81)

هذه الاستراتيجية في التخطيط العمراني تعكس كيف أن فرنسا لم تتوانى عن استغلال التراث المعماري المحلي لتحقيق أهدافها العسكرية والسياسية، مسعيةً لإعادة تشكيل المدينة بما يخدم مصالحها. بالرغم من هذه المجهودات الكبيرة لتغيير الملامح العمرانية وطمس العمائر الإسلامية، فإن فرنسا لم تنجح في محو الهوية العربية الإسلامية للجزائر بشكل كامل. هذا الفشل يبرز المقاومة الثقافية والهوياتية التي استمرت في الجزائر رغم كل المحاولات الاستعمارية لطمسها.

**خاتمة:**

في ختام هذا البحث الذي تناول مظاهر استغلال التراث المادي خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، يبرز بوضوح كيف أن السياسات الاستعمارية لم تقتصر على السيطرة العسكرية والإدارية فحسب، بل امتدت لتشمل محاولات ممنهجة لإعادة تشكيل الهوية الثقافية والعمرانية للجزائر. عبر التنقيب عن الآثار الرومانية وإعادة هندسة المدن والمعالم الإسلامية، سعت فرنسا إلى فرض رؤيتها الاستعمارية وتأكيد سيطرتها الثقافية والحضارية.

رغم هذه المحاولات الفرنسية الحثيثة، يثبت التاريخ أن الروح الجزائرية وهويتها العربية الإسلامية قد صمدت أمام تلك السياسات الاستعمارية، حافظت على عمقها الحضاري وغناها الثقافي. هذا الصمود لا يُظهر فقط فشل الاستعمار في طمس الهوية الجزائرية، بل يُبرز أيضًا قوة وعزيمة الشعب الجزائري في الحفاظ على تراثه وثقافته، مؤكدًا على أن الهوية لا تُمحى بمجرد تغيير الأحجار وإعادة رسم خرائط المدن، بل تبقى راسخة في الوجدان والذاكرة الجماعية للشعوب.

**المراجع:**

الأشرف، مصطفى. (2007). الجزائر الأمة والمجتمع. الجزائر: دار القصبة للنشر. ص.

اسماعيلي، محمد بن. (2014). مشايخ وعلماء خالدون. ط1.

رزق، عاصم محمد. (2000). معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية. ط 1. مكتبة مدبولي.

الرزقي، شرقي. (د.ت). المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان في عدسات مصوري القرن 19م. تلمسان: نشر ابن خلدون.

سعد الله، أبو القاسم. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية. ط 1، ج1. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

عمر، الأمين. (د.ت). مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ/ 10-12م) للفترتين الزيرية والحمادية (آشير، قلعة بني حماد، بجاية). ماجستير في الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر العاصمة.

الغالي غربي وآخرون. (د.ت). العدوان الفرنسي على الجزائر – الخلفيات والأبعاد. الجزائر: منشورات المركز الوطني والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، دار هومة. ص.

مؤنس، حسين. (1981). المساجد. الكويت: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

منصوري، خديجة. (1999). البحث الأثري في الجزائر أثناء الاحتلال. مجلة آثار، العدد 05. جامعة الجزائر، معهد الآثار.